

معركة أنوال العظيمة

كانت الباب الذي انفتح عليها الامم

الاحتفال بذكرى أنوال : احتفال بالمنطلق الاول في معركة التحرير

لقد كان من امثليات العبر بالنسبة الى ان تتهيأ الاسباب والظروف للمغرب المكافح حتى يستطيع ان يقوم بالربط الاكيد بين ايجاد اسلافه وامجاد حاضره . ولم يكن تصور هذا المعنى اول ما اتصوره في غير الحدث الذي كتبت امتقد جازما - ولا رلت اعتقد ذلك - انه قد غير بالنسبة لجيلتنا رؤيتنا لواتمنا ، وصحح في نظرنا ومقيدتنا معالم الصورة الحقيقية لوجودنا وذاتيتنا .

فقد كان ممكنا جدا ان تؤسر الاحداث التي كانت تصبنا وتسيينا بالنسبة لمصيرنا وبما اطبقت علينا به تلك الاحداث ان تحول بيننا وبين كل نجوة من الامل في شان المستقبل ، وتعمل من واقع الامة المغربية اذا ذلك ، ما لا يتيسر معه اي اعتقاد بايكاتات الخروج والنجاة مما كان يسيطر عليها .

وكان ممكنا جدا اذا ما تمنا بتطليل واقعي للظروف التي كانت تحيط بالامة المغربية ، الا نجد منفذا للامل في تعديل الحال بغير الطرق والوسائل التي كان يخططها الاستعمار للتكئين لنفسه وبسط سيطرته على جميع المرافق الحيوية التي يوجه بها عمله ، ويزيد في تعميق اسباب التكئين له .

كان الشعور بهذا بالنسبة لسواد كبير من الناس مصدر يأس كبير ، وان كان بالنسبة للقلّة منهم مصدر تذسر وعامل ابتئاس .

وظل هذا الشعور وذاك اليأس يزدادا قوة بقدر ايمان الاستعمار في تصرفاته ويقدر اتساع مختلف سيطرته على مرافق حياتنا الفكرية والمادية وعلى مختلف مقدراتنا الانسانية .

نجعات احداث سنة 1921 لتغير هذا الشعور من نفوس الناس ، وليدركوا بعدها ان كل انتفاض ممكن وان كل انتفاض متيسر اذا ما تهيأ المناخ وصح العزم عليهما . وجاءت أنوال لتؤكد ذلك ولتلقن المغرب درسا جديدا على مستوى متطلبات الانتفاضة ومستوى الانتفاض .

وبهذا لم تكن أنوال انتصارا كبيرا على الخصم بحسب ، بل وايضا انتصارا على ما كان قد علق بالنفوس من الوهن واصابها من اليأس وحل بها من الاستسلام .

ويهذا المعنى وهذه الروح كانت عندئذ وعند الكثيرين غير امنية عظيمة ان نستطيع القيام كل سنة بما يلزم نهذه الذكرى سن تخليد وما يلزمنا من تجديد وليس ذلكا على اعتبار كونها كانت صمودا وكانت وقفة في وجه التحديات ، بل وايضا على اعتبارها كانت المنطلق الاول والانتفاضة التي لايسد منها لتيسر كل سبب للكفاح وتقوية كل امل في النضال ، ولتكون العلية الاولى على درجتي الجهاد الذي استمر بعد أنوال متمصا كل حل الكفاح والنضال والجهاد .

وبهذا المعنى ايضا يلزمنا ان نفهم أنوال لتنفى كل سبب للتمجيد والحمد على

من قاد العمل فيها ، وكل من شارك فيه سواء من سقط في بطاحها فمال احسدى الحسينيين ، او من واصل عمله بعدها فانانا شرف الحمد لعمله واكبار جهاده .

وان حزب الاستقلال الذي جعل من برنامج عمله كل سنة اقامة الذكرى التي نحل بيننا في مثل هذه الايام ، لخلق ان يحتفل بها ، لا تمجيذا لمن استشهد فيها ونال اجره عند الله فحسب ، ولا اشادة بذكرى بطلها وزعيمها والمخطط الاول لها الغازي الاكبر محمد بن عبد الكريم الخطابي قدس الله سره ، ولكن ايضا الى جانب ذلك اعتبارا بكونها كانت الانطلاق لشعبنا من عضال اليأس ومحو اسباب الانتئاس .

فهى الحدث الذي غير وجه التاريخ الحديث في المغرب وغير معالم الرؤيا الى الحياة عند الشعب المغربي تامله .

فهناك من يعتبر ان أنوال والحرب الريفية كلها ، كانت راندا من روايد الانتفاضة ، وأنا اومن ان أنوال والحرب الريفية كانت هي الانتفاضة وما عداها من العوامل الاخرى كالتائر باحداث الشرق مثلا ومصر الخلافة الاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى وانبثاق الحركة السلفية في المغرب .

لم تعد ان كانت الروافد لها ، وانها هى التي بلورت تلك المعالم كلها وصاغتھا المصياغة النظرية التي جمعت تلك المعاني في نخام الريف بزعمانية بطله تحرير المغرب تحريرا ايجابيا يستوعب كل مقدرات التحرير الفكرى والمادى .

وان أنوال والحرب الريفية كلها كجركة تحرير لم تكن بهذا المفائة بالنسبة للشعب المغربى وحده ، بل اصبحت القدوة والمثال الذي اتخذته جميع الحركات التحريرية في العالم كنموذج لاسلوب العمل ونموذج للتفكير وما ذلك ، الا لكون الرؤيا التي كان ينظر بها البطل ابن عبد الكريم كانت تستوعب كل اسباب الكفاح الحديث من تسليح للشعب بالعتاد اليقيني والعتاد المسادى ، ومن تجييع للقبائل وتنظيمها ، كجيش متكامل النظام ، ومن محاولات تاسيس دولة حديثة تقوم على النظام المقبول من الشعوب ، وادارة ملتزمة تدير شؤون الامة بما يطلب تلك الادارة من حزم وتنظيم .

ونحن لا نقول بهذا ونؤكد القول به فقط لكونه كان نتيجة من نتائج سير العمل والمعارك بعد أنوال ، وانما نقوله اعتمادا على ذلك ، وعلى نوعية تفكير ابن عبد الكريم في الفترة التي سبقت احداث أنوال نفسها .

فالرجل كان يخطط للمغرب كله نظائما يعتد في جوهره على المقومات الحقيقية للشعب المغربى ، ويعتمد الانسية المغربية كاساس للحياة التي يطلبها ويستحث السير اليها .

وهذا ما يجعلنا نعتبر أنوال والحرب الريفية كلها منطلقا واسما كانت تستوعبه

النظرة الشمولية لمصر المغرب ومصر الحركات التحريرية فيه فكما قلت م يكن الانتصار في أنوال انتصارا على جيسوش سالفستري وعلى الجيش الاسبانى كله ، بل كان تعريزا لتلك الفكرة الشمولية وانتصارا ايضا على الفئات التهرامية التي شوهها اليأس ، وكانت تغذى باسمها انتصارات القوات الاستعمارية في بعض الجهات الاخرى من المغرب ، وكانت بالقلى انتصارا لمعنى التحرر الشامل جوهرها وعرضها

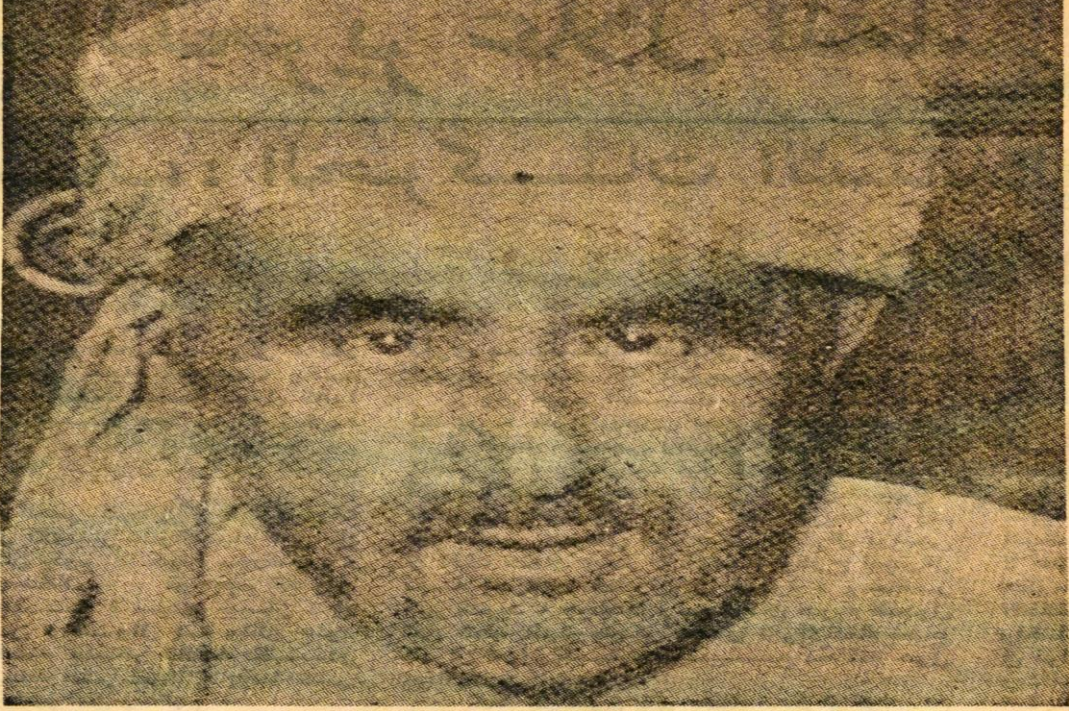
ولهذا فان احبار النصر الكبير في أنوال لم تتأخر عن اعطاء نبراتها التي كانت مرجوة ، فجاء الريفيون من كل سوب وحذب ملبين النداء ، ومباركين النصر ، معنئين انضمامهم الى صفوف الجهاد والاتحاق بركب التحرير وبذلك اصبح الريف كله وبعده تماثيل جباله وناحية كبيرة من المغرب تدن بالولاء للمطل ولتحويل الى جانبه السلاح الذي تقيمت به فلول الجيوش الاسبانية المنهزمة حتى وقتت عند مشارف تطوان غربا وبواب موليبيسة شرقا واصبحت خطة الاحتلال مقصورة على التخطيط للاكتفاء ببعض المراكز الشاطئية لصحية ارضها وبعض المعامل التقليدية من مراكزها

ان استجابة الشعب المغربى غداوات ابن عبد الكريم بعد أنوال ، كانت استجابة اجماعية ، اكد بها شعثنا من جديد بعد وعيه للاحداث والنتائج ، وبعد تقديره خطة التحرير والاتحاق بصوف الجهاد لم تكن نصيب المواطنين الذين كانوا عزلا من كل سلاح غلبة ذلك الوقت ، بل كانت ايضا من نصيب عدد كبير من نفس جيش المرتزة الذين كانوا يعمون في الصفوف الاسبانية كقرف «الريكولاريس» التي كان الاسبانيون يعتمدون عليها كطليعة اولى في المعارك

ولا ادل على ذلك من كون الجنرال تشارو نفسه والذي خلف سالفستري في قيادة الجيوش ، قد ظل سبعة ايام بعد أنوال يبدى من الجهد والعناء ما يتمكن به من جمع الفلول ومحاولة اقامة تحصينات للدفاع جديدة في جبل عرويت في محاولة الدفاع عن مدينة مليبية نفسها ، وما ذلك الا لكون استجابة التطوع في جيش التحرير والجهاد كانت عظيمة من لدن سائر المواطنين الذين لم يتركوا للجيش الاسبانى شبرا واحدا فوق الارض المكافحة المستميتة في جهادها

تلك هى أنوال بجميع المعطيات التي جسم بها الريفيون قوة مقيدتهم ، وجسم بها البطل صلاح وجسم بها البطل الخطابى رايه سواء من ناحية التخطيط الحربى او التصميم للعمل لمستقبل ما بعد المعركة وما بعد الانتصار .





بقلم الاستاذ محمد الخطيب

والتي يصف فيها جو مليبية يوم 23 يوليو أى بعد أربع وعشرين ساعة من الانتصار في أنوال جاء فيها :

«من يوم 23 يوليو سنة 1921 عندما كانت الصلوات العادية تقام في كنيسة القلب المقدس كان من بين الحاضرين من استولى عليهم الجزع أكثر من الرجولة وذلك بشيوع نبأ قيام المغاربة من الناضور والاتجاه نحو مليبية التي يعملون لدخولها ، وقد كانت يضع دقائق كافية لذبوع النبا وانتشاره في مدينة مليبية كلها وحدثت حركة لا تنسى ، فقد عاج السكان وماجوا بتأثير من الخوف وأخذ كل واحد يبحث عن ملجأ ومخبيء يجفون اليه في حصن البلد . وقد شاهدت ساحات المسكرات هجوما عليها من طرف السكان وهم يصيحون في جميع أنحاء المدينة وكأنها الثوار قد وصلوا ، فكان ذلك مظهرا من مظاهر الهزيمة فظيع» .

وإذ نرى هنا هذه الفترة فلكي نصور للقارىء الحالة النفسية التي أصبح الإسبانيون يعيشون عليها بأعضابهم نتيجة لأعمال البطولة وقوة الشجاعة التي وقفوا عليها من لدن الفئة الشجاعة لجهادها وكفاحها في جيش الجهاد والكفاح الذي نحى اليوم بكل اجلال واكبار ذكرى معركته الكبرى في أنوال ، وذكرى الانطلاقة التحريرية التي استمددنا منها ولا تزال الكثير من معاني البطولة في الكفاح والتخطيط .

وهذه بعض من معطيات المعركة التي يلزم أن تبقى دوما المنار الذي أنار لنا طريق الكفاح والجهاد .

فتخليدا لذكرى أبطالها ، ووفاء لهم ببعض ما أسدوه من خير عميم لهذه البلاد نقف جميعا اجلالا واكبارا لمن استشهد فيها ولن نال شرف الشهادة بعدها أو من سار منهم بعد ذلك على هديها وهدى معلمتها .

بقية ما في الصفحة 4

ولا يعني هنا ان اعدد اسباب الهزيمة من الناحية الحربية بالنسبة لاسبانيا بقدر ما يعني بهذه المناسبة أن أذكر أسباب الانتصار التي تتجسم في التخطيط المحكم من ناحية اعداد الجو وتهيء المناخ له ولما بعده في شكل استمرار محكم لاسباب السير ووسائل تطبيق النتائج .

وقد تعرضت لذلك في ابحاث سابقة قد لا يجوز تكرار ذكرها ، وان كان التركيز عليها هو الغاية من هذه الكلمة التي اسطرها «للعلم» بمناسبة طول الذكرى من جديد ، تلك الذكرى التي ظلت عنها في مسنول هذه الكلمة انها كانت ولا تزال من أمنيات العمر التي كنا نحبيها دوما في نفوسنا وعقولنا وقلوبنا لكونها كانت دوما حاضرة فيها ماثلة مثل المنطلق الاول لكل عمل قامت به الحركة الوطنية من عمل وجهاد وحققته من نتائج .

فعلى الذين لا يزالون يواكبون ركيب الجهاد أن يذكروا دوما هذا المعنى وهذا المنطلق في الجهاد والكفاح ، ويجعلوا من أنوال المعركة الاولى التي ظلت تغذى بروح معناها جهاد الأبطال والمكافحين على جميع أصعدة ومستويات العمل الوطنى في هذه البلاد .

لست من الذين يعتقدون بأن الانتصار العظيم في أنوال كان نتيجة لانعدام روح الشجاعة عند الجيوش الإسبانية ، لكنه كان نتيجة لتفوق روح الشجاعة عند المغاربة ، والشجاعة رأى وعمل ، وهذان العنصران كان الجيش الريفي يتوفر عليهما بقدر كبير سواء من ناحية الامتثال للتخطيط واستيعاب روح الانضباط أو من ناحية تقدير ابعاد نتائج المعركة وتأثيرها في مصير الحركة التحريرية في المغرب كله ومستقبل البلاد .

وتحضرني بهذه المناسبة فقرة من رواية خوان برنكير عن مليبية «مليبية المسودة»